

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنها، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

من إرهاصات سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام قبل النبوة:

١- ولادته من أم من دون أب:

تحدثنا عن المعجزة تعريفاً، وبياناً، وشروطها في الدرس الماضي، وفي هذا الدرس سنورد بعض المعجزات التي خص بها الله سبحانه وتعالى رسلي السابقين، فمثلاً: سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، كان عيسى عليه السلام خاتمة أنبياء بنى إسرائيل، وقد أرسله الله إليهم وأنزل عليه الإنجيل، وأيده بخوارق عادات باهرات، من هذه الخوارق: ما كان إرهاصاً لنبوته، ومعنى إرهاصاً: أي دليلاً مسبقاً على نبوته، تمهدأ لنبوته، إثباتاً لنبوته، ومنها ما كان معجزة مرافقة لرسالته ليشهد الله له بصدقه فيما يبلغ عن ربه.

من إرهاصاته ولادته من أم من دون أب: وقد شهد الله بذلك في القرآن معلناً براءة أمه وحصانتها، موضحاً طريقة تكوينه في بطنها بوساطة نفحة من جبريل عليه السلام، الله سبحانه وتعالى حينما خلق الإنسان، صممته على أن يتکاثر عن طريق الزواج، فالزوج والزوجة ينجبان أولاداً هذه سنة الله في خلقه، وكأن سبب إنجاب الولد هو هذا الزواج، ومع مرور الأيام ترسب في أوهام الناس أن الزواج وحده هو سبب إنجاب الأولاد، وكأن الله سبحانه وتعالى لا دخل له في ذلك، إذا اعتقدت أن السبب وحده كافٍ لإحداث النتيجة فهذا شرك، السبب وحده لا يكفي، لابد من فعل الله سبحانه وتعالى، لذلك مadam الزوج والزوجة - في العادة - ينجبان أولاداً، ربنا سبحانه وتعالى سيأتينا بأربعة حالات خاصة:

١- أن يأتي المولود من زوج بلا زوجة
وهذه حال السيدة حواء.

٢- أن يأتي المولود من زوجة بلا زوج
وهذه حال سيدنا عيسى.

٣- أن يأتي الطفل من دون أب ولا أم
كما هي الحال في سيدنا آدم.

٤- وقد يتزوج الرجل بامرأة والرجل
شاب في ريعان الشباب، والزوجة شابة
في ريعان الشباب ولا ينجبان أولاً دأ.

الله هو الخالق وليس الأسباب

فهل السبب وحده كافٍ لإحداث النتيجة؟ الجواب لا، فربنا عز وجل من حين لآخر يريد أن يعلمنا أن السبب وحده لا يكفي لإحداث النتيجة، لا بد من المسبب الأول وهو الله سبحانه وتعالى، فإما أن يعطّل السبب وإما أن يلغيه، انظر معنى التعطيل ومعنى الإلغاء: قد يكون الزوجان شابان لا ينجبان أولاً دأ، الله عطّل السبب، وإما أن يلغيه يحدث إنجاب أولاد من دون أب، كما هي الحال عند سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، هذه عقيدة و مهمة جداً.

نموذج من الأمثلة لبيان الحقيقة بأن الفاعل الحقيقي من وراء هذه الأسباب هو الله:

لو أن مصباحاً كهربائياً وضع في جهة ما من الغرفة، ووضع إلى جانبه مفتاح كهربائي لا علاقة له بالمصباح إطلاقاً، ليس هناك اتصال بينهما، ووضع خط بين المصباح، خط كهربائي سري إلى مكان يجلس فيه إنسان، دخل إلى الغرفة داخل رأي مصباحاً ورأى مفتاحاً، فتوجه إلى المفتاح وضغط المفتاح فتألق المصباح، هذاgalss على كرسي وثير في مكان بعيد بمجرد أن وضع الداخل يده على المفتاح ضغط من عنده الزر فتألق المصباح، فتوهم هذا الداخل أنه هو الذي حرك الزر فتألق المصباح، فهذاgalss أراد أن يعرفه أن ضغطك لهذا الزر لا علاقة له لتألق المصباح، ولا يكفي ضغط الزر لتألق المصباح، فدخل مرة وتوجه إلى المفتاح وضغط الزر فلم يتألق المصباح، وفي مرة ثانية جعله يدخل وجعل المصباح يتألق من دون ضغط الزر، هدف هذاgalss على الكرسي: أن يعرف هذا الداخل أنه ليس هو الذي يؤلق المصباح، يقول لك: هذه البرزة مُبرمجة، فهي النواة عرى ملونة "جينات" تحمل مورثات، عبارة عن تعليمات مرسومة على العرى الملونة في الجينات والجينات فيها خمسة آلاف مليون معلومة، كلما قلنا: هذه النواة مسؤولة عن تشكيل الجنين، وهذه الغدة مسؤولة عن تنظيم توازن السوائل، وهذه الغدة مسؤولة عن إحداث الاستجابات الكافية عند الخطر، وهذا المركز مسؤول عن توازن السوائل، وهذا المركز مسؤول

عن التنفس، بمعنى أيها الدرس تعطي المادة فوق حجمها، تجعلها عاقلاً، تجعلها إنساناً مخططاً عاقلاً، هذا شرك بالله عزّ وجل.

مثلاً آخر: لو أنّ مطبعة من أحدث المطابع صممت لطبع الورق على وجهين بشكل مستمر، تطبع لوجهين ولخمسة ألوان، هذه المطبعة مصممة تصميم رائع جداً، خبرات العالم كلّه في مئة عام سابقة مجموعة في هذه المطبعة، هذه المطبعة تُشبه تصميم الخلق، أسطواناتها، أجهزتها الإلكترونيّة، فيها عقول إلكترونية، فيها قطع ضوئيّة، فيها تنضيد ضوئيّ، فيها أشياء دقيقة جداً، فيها لوحات التصوير، فيها لوحات اللمس، فيها تطابق الألوان، هذه المطبعة بهذا التصميم، بهذه الأدوات، وبهذه التحكّمات، تشكّل الخلق، ما قيمة المطبعة من دون ورق، ومن دون حبر؟ لا قيمة لها، الأوراق والحبر يشكّل الإمداد أي التربية، وحينما يُضغط على الزر فتعمل الكهرباء عملها، في المولدات، وتحرك العجلات، هذه الكهرباء هي الإرادة الإلهية في إحداث الشيء تقربياً، أصبح عندنا: خلق، و التربية، تسيير، فالشيء الذي تراه أعينكم فيه خلق وفيه تربية وفيه تسيير، علماء التوحيد لخصوا هذا كله في كلمتين فقالوا: عندها، لا بها، يعني عند الإرادة لا بالسبب، الشيء يحدث عندما يريد الله له أن يحدث، لا باتخاذ الأسباب، لذلك قال العلماء: اتخاذ الأسباب وتوكل على رب الأرباب، توكل على مُسبّب الأسباب، أردت من هذا الكلام أن تعلموا أن السبب وحده لا يكفي لإحداث النتيجة، لا بد من فعل الله عزّ وجل في كل مرة، هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي عقيدة السلف الصالح، هذه هي العقيدة المستتبطة من آيات القرآن الكريم، تقول: هذه الغدة مسؤولة عن الكظر، والبنكرياس مسؤول عن الأنソولين الذي يحرق السكر في الدم، والصفراء مسؤولة عن إفراز المادة الصفراوية والمواد الدسمة، وكل ما واجهك مشكلة تزعوها إلى عنصر، أو إلى غدة، أو إلى جهاز، أو إلى خلية، هذه المواد حينما تجلى الله عليها، جعلها تقوم بهذه المهمات المعقّدة، فعندما لا بها، فالبنكرياس مصمم تصميم رائع، صممه الخالق، وأمده بمواد خاصة عن طريق الدم، ثم سمح له أن يعمل بإشراف الله سبحانه وتعالى، لا يوجد مرض عضال، كل أجهزتك بيد الله سبحانه وتعالى يُعملها أو يعطّلها، من هنا نفتر ما يسميه الأطباء بالشفاء الذاتي.

كل إنسان ينجب ولداً، هذا الولد من خلق الله، يد الله هي التي صورته في الرحم، الرب هو الذي أمده بالغذاء، الخالق هو الذي خلقه على هذا الشكل، الإرادة الإلهية هي التي فعلت فعلها في تصويره في رحم الأم، فكل شيء يمكن أن تفهم من خلاله الخالق، والرب، والمسيّر، وهذه هي المعجزة الأولى لسيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

أدلة الكتاب والسنة حول موضوع الأسباب والتأثر بها ونسيان المؤثر:

قال عليه الصلاة والسلام:

" عن عبد الحميد مولى بنى هاشم حدثه أن أمة حدثه وكانت تخدم بعض بنات النبي صلى الله عليه وسلم أن ابنة النبي صلى الله عليه وسلم حدثها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمها فيقول قولي حين تصبحين سبحان الله وبحمده لا فوة إلا بالله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فإنه من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسى ومن قالهن حين يمسى حفظ حتى يصبح "

(ورد في الأثر)

(الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل)

(سور الزمر الآية: ٦٢)

(وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه)

(سور هود الآية: ١٢٣)

(ألا إلى الله تصير الأمور)

(سور الشورى الآية: ٥٣)

(وما رميته إذ رميته ولكن الله رمى)

(سور الأنفال الآية: ١٧)

(يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)

(سور الفتح الآية: ١٠)

(ما يفتح الله للناس من رحمة فلما مسكت لها وما يمسك فلما مرسلا له من بعده وهو العزيز الحكيم)

(سور فاطر الآية: ٢)

٤ - كلامه في المهد:

المعجزة الثانية من معجزات إرهادات النبوة: تكلمه وهو صبي في المهد، وفي حكاية كلامه وهو صبي، ووصف لحال أمه حينما جاءت إلى قومها تحمله، قال تعالى في سورة مرريم: (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرِيْمَ لَقْدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيْأً * يَا أَخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرًا سَوْءًِ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغْيَيَا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَيْيَا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ أَتَائِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلْنِي نَبِيًّا * وَجَعَلْنِي مُبَارِكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالرَّزْكَةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرَأْ بِوَالِدِتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَارًا شَفِيقًا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبَعَثُ حَيًّا * ذُلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرِيْمَ قَوْنَ الْحَقَّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ)

(سورة مرريم الآية: ٣٤ - ٢٧)

معجزات سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام:

وأما معجزاته: فقد أرسل الله عيسى عليه السلام في قوم يفخرون بمهارتهم بالطب، بحسب مستوى زمانهم، فأجرى الله على يديه معجزات باهرات تُشَالِكَ نوع مهارة قومه بحسب الصورة، ولكن بمستوى لا يستطيع الطب بالغاً ما بلغ أن يصل إليها، فمن هذه المعجزات:

- ١- نفح الروح في الطير فينفح فيه فيكون طيراً بإذن الله، هذه معجزة فوق طاقة البشر.
- ٢- أنه يمسح الأكماء، والأكماء هو الذي ولد أعمى، ما رأى النور في حياته، فيبرئه بإذن الله.
- ٣- أنه يمسح على الأبرص فيشفيه بإذن الله، والبرص من أعقد الأمراض التي تستعصي على الطب.
- ٤- أنه يحيي الموتى بإذن الله، بعضهم قال: بالنداة، وبعضهم قال: بالنفت.
- ٥- أنه يُنبئ الناس بما يأكلون وما يدخلون في بيوتهم، وهذا نوع من الاطلاع على الأشياء المحظوظة والبعيدة، ونفوذ العلم بها إلى ما وراء الحجب مستحيل.
- ٦- أنه كفَ الله بنى إسرائيل عنه حينما أرادوا قتله، وألقى شبهه على من دلَّ على مكانه ثم رفعه إليه:

(وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شَبَّهَ لَهُمْ)

(سورة النساء الآية: ١٥٧)

(وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ)

(سورة النساء الآية: ١٥٨-١٥٧)

- ٧- أن الحواريين طلبو من سيدنا عيسى عليه السلام أن يُنزل الله عليهم مائدة من السماء ليأكلوا منها، ولطمأن قلوبهم بالإيمان فيثبتوا عليه، فدعا عيسى ربها فأنزل عليهم المائدة التي طلبوها فكانت معجزة كبيرة له.

ينبغي على المسلم أن يكون إيمانه وفق الكتاب والسنة لأن القضية مصرية:

بالمناسبة: لا تقبلوا مني شيئاً من دون دليل، أعيد على أسماعكم وأقول: "إن كنت ناقلاً فالصحة، وإن كنت مبتداً فالدليل"، الحقيقة لها علاقة بالإيمان، يبني عليها مستقبلك وسعادتك، لا تقبل لا مني ولا من غيري من دون دليل، الدليل يجب أن يكون ناصاً قطعياً الثبوت قطعياً الدلالة، القرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة المتواترة توافر لفظياً أو معنوياً: هي نصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة، أو هناك دليل عقلي ويجب أن يطابق دليلاً نفلياً، لأن الدين يثبت بالعقل لا بالعقل وحده، يقول لك: أنا عقلي يقول لي: أن الصلاة ليس لها لزوم، هذه مستحيلة، من أنت؟ هذا دين، هذا شرع، لذلك لا تقبل من أحدٍ شيئاً إلا بالدليل القطعي الثبوت القطعى الدلالة، والدليل النفلي والعقلي لأن العقيدة خطيرة جداً.

هذه الحقائق من العقائد التي يجب أن تعلم بالضرورة، ومن أنكرها فقد كفر، قال أحد الأنتمة الكبار: ما جاءنا عن صاحب هذه القبة الخضراء فعلى العين والرأس، وما جاءنا عن غيره فحن رجال وهم رجال، وقال بعضهم: كل إنسان يُؤخذ منه، ويُؤخذ عليه إلا صاحب هذه القبة الخضراء، حرر عقلك، ينبغي أن تفهم الأمور فهماً منها جيأ، فكرة تحتاج إلى دليل، آية قرآنية، يجب أن تكون قطعية الثبوت قطعية الدلالة، كيف؟ ربنا عزّ وجلّ قال:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصَّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ)

(سورة البقرة الآية: ١٨٣)

هذا قرآن، القرآن قطعي الثبوت، ولكن وجوب الصيام يستتبع من هذه الآية بدلالة قطعية، أما لما ربنا عزّ وجلّ يقول:

(وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَحِيرُونَ * وَلَحْمٌ طَيْرٌ مِّمَّا يَشَهُونَ)

(سورة الواقعة الآية: ٢١-٢٠)

فهل يمكنك تكبير شخص أكل الطعام قبل الفاكهة؟ صحيح أن هذه آية قرآنية لكن الدلالة منها ظنية، يُفهم منها أحياناً أنه يستحسن أن تأكل الفاكهة قبل الطعام، أما هل هناك دلالة قطعية بذلك؟ لا، لذلك يكفر الإنسان حينما يُذكر الدلالة القطعية.

المعجزات التي وردت في سورة المائدة بشأن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام:

في سورة المائدة نصّ جمع كل هذه المعجزات قال تعالى:

(إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ اذْكُرْ نَعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى الَّذِينَ إِذْ أَيَّدْتَكَ بِرُوحِ الْفُسْسَ ثُكَّلَمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَمْتَكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالثُّوْرَاهُ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَحْقُقَ مِنَ الطَّيْنِ كَهْيَةَ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طِيرًا بِإِذْنِي وَتَبْرُئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرَجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي كَفَّتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنِكَ إِذْ جَنَّتُهُمْ بِالْبَيْنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا أَمْنًا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ هَلْ يَسْتَطِعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمِئِنَ قُلُوبُنَا وَتَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْنَا وَتَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرِيمَ اللَّهُمَّ رَبِّنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَثْوِنُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَانَا وَآخِرَنَا وَآيَةً مِّنْكَ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزَلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرُ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعْذِبُهُ عَذَابًا لَا أَعْذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ)

(سورة المائدة الآية: ١١٥ - ١١٠)

كل هذه المعجزات التي من الله بها على سيدنا عيسى بن مريم، وردت في هذه الآيات الطوال من سورة المائدة، إن شاء الله في درس قادم نتحدث عن معجزات سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وقد نعرّج على معجزات بعض الأنبياء الآخرين.

والحمد لله رب العالمين